VOL2023ISSUE02
PPUBLISHED 02FEB2023
https://hexatimess.com/hexatech
https://doi.org/10.5281/hexatech.10499122
https://hexatimess.com

كلام الله عند ابن عاشور

الدكتور صالح غضباني
جامعة الزيتونة .تونس
Salah.ghodbani@yahoo.fr

الملخص

يعتقد ابن عاشور أن الكلام صفة من صفات الله الأزلية، إذ ليس كمثله شيء. وفي هذا الصدد، يؤكد الشيخ الطاهربن عاشور أن الله تعالى قد كلّم موسى عليه السلام بلا صوت ولا حرف، بل بكلام لا نعرف ماهيته، إلا أن نبي الله موسى قد فهمه ووعاه بعد أن خلق الله سبحانه له إدراكا من جهة سمعه، حصل له به اليقين أن الله تعالى هو من خاطبه وكلّمه بلا واسطة. واستند في ما ذهب إليه إلى أدلة عقلية ونقلية.

الكلمات المفتاحية: كلام ، الله ، ابن عاشور .

God's Speech from Ibn Ashour's perspective

Abstract

Ibn Ashour believes that speech is one of the eternal attributes of God Almighty, and is therefore comparable to nothing. In this regard, Sheikh Al-Taher Ibn Ashour confirms that God Almighty spoke to Moses, peace be upon him, using neither sound nor letter, but rather with speech that we do not know its essence, Yet Prophet Moses fully comprehended it after God Almighty endowed him with an awareness from the point of view of his hearing, with which he attained certainty that it is God Almighty who is speaking to him without intermediaries. To prove what he stated, Ibn Ashour relied on proof from the authentic legal texts and logical reasoning

Keywords. Speech. God . Ibn Ashour

مقدمة

يعتبر الشّيخ محمد الطّاهر ابن عاشور، علاّمة من علماء عصره، وقد اشتهر وذاع صيته، خاصّة بعد أن حرّر كتابه في التّفسير سمّاه "التحرير والتنوير"، وقد اعتنى فيه بالقرآن الكريم، ففسّره آية آية وأثبت فيه منهجه وطريقته في كلّ المسائل، وخاصّة القضايا العقائديّة، حيث لم يعثر على كتاب مستقلّ ألّفه في أصول الدّين، إلّا أنّ الدّارسين لقضايا العقيدة يستمدّونها من تفسيره المعروف، وقد بثّ فيه آراءه العقديّة عندما يعرض لآية تتناول مسألة عقائديّة فيفسّرها ثمّ يزيدها إيضاحا عندما يفسّر أخرى لها علاقة بما قبلها.

وسوف أتتبّع من خلال تفسيره معالجاته للآيات الّتي لها تعلّق بقضيّة الكلام في القرآن الكريم، ولعلّ هذه القضيّة هي من أهمّ المسائل الّتي دار حولها جدل كبير، واختلفت حولها الآراء، فمنهم غال مبالغ، ومنهم متوسّط مسدّد، ومنهم مفوّض مسلّم في مسألة كلام الله تعالى. وذلك محاولة منّي لإظهار رأي الشّيخ ابن عاشور رحمه الله تعالى في هذه المسألة، خاصّة وأنّنا نعلم أنّه يعتمد التّفسير بالمنقول والمعقول وما تحتمله اللّغة وتقتضيه.

فماهو رأيه في هذه القضيّة العقائدية؟

أمثلة من «كلام الله » في الوحيين:

1- من القرآن الكريم: قال تعالى ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[1]

وقال أيضا ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾[2]

قال ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [3]

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4]

2- من السنّة: ما ثبت في الحديث الصّحيح من أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، خاطبه ربّه ليلة الإسراء والمعراج، وفرض عليه وعلى أمّته الصّلوات الخمس في العدد، والخمسين في الأجر، وفي هذا الحديث يقول عليه السّلام "فلمّا جاوزت ناداني مناد: أمضيت فريضتي وخفّفت عن عبادي"[5]

الكلام في اللغة:

الكلام في اصطلاح النّحاة هو اسم لما تركّب من مسند ومسند اليه..."[6]

وهو أيضا " اللّفظ المركّب الدّال على معنى ..."[7]

في الإصطلاح :

يطلق بالإشتراك على معنيين:

أحدهما: المعنى القائم بالنّفس، الّذي من شأنه أن يعبّر عنه بألفاظ، وعلى هذا قول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، في سقيفة بني ساعدة، عندما اجتمعوا لاختيار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنّي زورت في نفسي مقالة" أي هيّأت كلاما، وكذلك قول الأخطل:

البحر الكامل

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما *** جُعل اللّسان على الفؤاد دليلا

ثانيها: الألفاظ المعبّرة عن المعنى القائم بالنّفس، فتقول هذا كلام فصيح، وكلام واضح.

1- النساء 64
2- البقرة 253
3 -الأعراف 143
4 -التوبة 6
5 -البخاري في " بدأ الخلق" 3207
6 -الفيومي المقري أحمد بن محمد "المصباح المنير" مكتبة لبنان،1987،ص206.
7 -- صليبا جميل "المعجم الفلسفي "دار الكتاب اللبناني/ بيروت ، لبنان،1982 ص 235.

وعليه فإنّ الله سبحانه وتعالى، قد ثبتت له صفة الكلام بإجماع الأمّة، وتواتر النّقل عن الأنبياء عليهم السّلام، أنّه سبحانه وتعالى متكلّم، مع القطع باستحالة التكلّم من غير ثبوت الكلام.

وقد فسّر المعتزلة إجماع المسلمين على إثبات الكلام لله تعالى، بأنّه أصوات وحروف خلقها الله في غيره كاللّوح المحفوظ، وجبريل عليه السّلام وغير ذلك ممّا يدلّ بأنّ الله تعالى حادث وغير قديم. ولم يثبتوا لله شيئا آخر من وراء هذه الأصوات والحروف، تحت اسم الكلام، وبناء على ذلك قالوا بخلق القرآن.

أمّا أهل السنّة والجماعة، فقد اعتبروا أنّ هذه الحروف والأصوات الّتي تدلّ على معاني كلام الله، لا شكّ أنّها حادثة، ونسمّيها كلاما لفظيّا. ولكنّنا نثبت إلى جانب ذلك صفة أزليّة قائمة بذاته هي الكلام، وهي تلك المعاني الّتي يعبّر عنها بالألفاظ، وهي غير صفة العلم والإرادة، وإنّما هي صفة مهيّأة لأن يخاطب بها الآخرون، على وجه الأمر والنّهي والخبر والوعد والوعيد[1].

وقد نقل عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنّه كان يقول " إنّ الحروف والأصوات في القرآن الكريم قديمة"، وكذا أتباعه من الحنابلة.[2]

وقال العضد الإيجي في المواقف " ثمّ قال الحنابلة: كلامه حرف وصوت يقومان بذاته وإنّه قديم ..."[3].

هذا مع اعتقادنا أنّ الألفاظ الّتي تقرأ في القرآن حادثة، لا يجوز أن تقول أنّ القرآن حادث، خشية الالتباس، قال الإمام الباجوري: "ومع كون اللّفظ الّذي نقرؤه حادثا لا يجوز أن يقال: القرآن حادث، لأنّه يطلق على الصّفة القائمة بذاته تعالى أيضا، فربّما يُتوهّم من إطلاق أنّ "القرآن حادث"، أنّ الصّفة القائمة بذاته تعالى حادثة، ولذلك ضُرب الإمام أحمد بن حنبل وحبس على أن يقول بخلق القرآن فلم يرض."[4]

وقد اختلف العلماء في حقيقة كلام الله تعالى وذهبوا مذاهب شتّى، جمعها الشّيخ ابن أبي العزّ الدّمشقي[5] في تسعة أقوال:

أحدها: أنّ كلام الله هو ما يفيض على النّفوس من معان، إمّا من العقل الفعّال عند بعضهم أو من غيره... وهو قول الصّابئة والمتفلسفة.

ثانيها: أنّه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه وهذا قول المعتزلة.

ثالثها: أنّه معنى واحد قائم بذات الله هو الأمر والنّهي والخبر والاستخبار وإن عبّر عنه بالعربيّة كان قرآنا وإن عبّر عنه بالعبريّة كان توراة... وهو قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

رابعها: أنّه حروف وأصوات أزليّة مجتمعة في الأزل وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث.

خامسها: أنّه حروف وأصوات لكنّ تكلّم الله بها بعد أن لم يكن متكلما... وهو قول الكراميّة وغيرهم.

سادسها: أنّ الكلام يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يميل إليه الرّازي في المطالب العالية.

سابعها: أنّ الكلام يتضمّن معنى قائما بذاته، هو ما خلقه في غيره وهو قول أبي منصور الماتريدي

ثامنها: أنّه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذّات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهو قول أبو المعالي ومن تبعه.

---

1 - الخن مصطفى سعيد وديب مستو محي الدين "العقيدة الإسلامية" دار الكلم الطيب، دمشق سوريا، ط2003/4 ص 201 (بتصرف)

2 - مصدر سابق، ص 202.

3- الإيجي عبد الرحمان بن أحمد" المواقف في علم الكلام" دار عالم الكتب بيروت لبنان ص 293.

4- الباجوري ابراهيم بن محمد "تحفة المريد على جوهرة التوحيد "مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر ص45.

5 - هو الإمامُ العلامةُ صَدرُ الدين ، أبو الحسن عليُّ بن علاءِ الدين عليّ بن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن شرف الدين أبي البركات محمد بن عز الدين أبي العز صالح بن أبي العز بن وهيب بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهب الأذرعي الأصل ، الدمشقي الصالحيّ الحنفي ، المعروف بابن أبي العز ، ولد فى الثانى والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة وتوفى فى ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة توفى الإمام العلامة صدر الدين علي بن أبي جعفر ، ودفن بسفح قاسيون (جبل بدمشق سوريا)، رحمه الله. تولى التدريس والخطابة والقضاء، له مؤلفات عدة لعل أهمها "صحة الاقتداء بالمخالف" و " النور الامع فيما يعمل به في الحرام" و "شرح العقيدة الطحاوية" وغيره.....(مقدمة شرح الطحاوية بتصرف)

تاسعها: أنّه تعالى لم يزل متكلّما إذ شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلّم بصوت يسمع وأنّ نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصّوت المعيّن قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة. [1]

موقف ابن عاشور من مسألة كلام الله من خلال تفسيره

عالج الشّيخ ابن عاشور، مسالة الكلام من خلال دراسته لكلّ آية تعرض إليه يكون موضوعها كلام الله، وبيّن من خلالها آراء المذاهب الكلاميّة سواء الوسطيّة منها أو الغالية.

قال المجسّمة المشبّهة: الله متكلّم بكلام هو حروف وأصوات متعدّدة يحدث في ذاته، ثمّ ينقطع ثمّ يحدث ثمّ ينقطع ووصل الغلوّ ببعضهم إلى اعتبار حروف اللّفظ المنزّل بين دفّتي المصحف قديمة غير مخلوقة.[2] وذكروا عند تفسير قوله تعالى ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[3] ، كلّمه في فيه وناوله التّوراة من يده إلى يده.

وأمّا المعتزلة فقد قالوا: لا يوصف بصفة الكلام وإنّما كلامه تعالى حروف وأصوات يخلقها في غيره، كاللّوح أو جبريل أو الرّسول أو الشّجرة وهو حادث.

يعلّق الشيخ ابن عاشور رحمه الله عند تعرضه لقوله تعالى﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ أنّ "... كلام الله صفة له ثبتت بالشّرع لا يدلّ عليها الدّليل العقلي على التّحقيق ... فخلق النّفوس القابلة للنبوّة والرّسالة وزوّدها بالإرشاد الدّال على مراده المعبّر عنه بالوحي..."[4]

فالله خلق الخلق وأراد منهم الإصلاح والصّلاح وأمرهم بهما ونهاهم عن المنكرات وحذّرهم منها، وأنّ أمره ونهيه للبشر كان منذ بداية الخليفة وهذا يدلّ على أنّه تعالى يرض بعض أعمال البشر ولا يرض بعضها الآخر، وذلك يسمّى كلاما نفسيّا وهو أزلي.

يقول ابن عاشور رحمه الله: "إنّ حقيقة صفة الكلام يحتمل أن يكون من متعلّقات صفة العلم أو من متعلّقات صفة الإرادة أو صفة متميّزة مستقلّة عن الصفتين الأخريين، فمنهم من يقول: عَلِمَ حاجة النّاس إلى الإرشاد فأرشدهم، أو أراد هُدى النّاس فأرشدهم.[5]

ثمّ ينتقل الشّيخ ابن عاشور رحمه الله إلى تقرير مسألة كلام الله تعالى فيقول: " ونحن نقول: إنّ الإلهيّة تقتضي صفات الكمال الّتي منها الرّضا والكراهيّة والأمر والنّهي للبشر أو الملائكة، فتثبت صفة مستقلّة هي صفة الكلام النّفسي، وكلّ ذلك متقارب، وتفصيله في علم الكلام."[6]

فالتّكليم تعلّق لصفة الكلام بالمخاطب على جعل الكلام صفة مستقلّة، أو تعلّق العلم بإيصال المعلوم إلى المخاطب، أو تعلّق الإرادة بإبلاغ المراد إلى المخاطب[7]

ثمّ يورد صاحب التحرير والتنوير رأي الأشاعرة في مسألة الكلام فيقول: " تكليم الله عبده هو أن يخلق للعبد إدركا من جهة السّمع يتحصّل به العلم بكلام الله دون حرف ولا صوت وقد ورد تمثيله بأنّ موسى سمع مثل الرّعد علم منه مدلول الكلام النّفسي، قلت : وقد مثّله النّبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصّحيح عن أبي هريرة أن الله –تعالى- إذا قضى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا، لقوله كأنّه سلسلة على صفوان فإذا فُزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربّكم، قالوا للّذي قال الحقّ وهو العليّ الكبير"[8]

1- الطحاوي أبو جعفر: العقيدة الطحاوية ص 179 طبعة المكتب الإسلامي سنة 1399هـ

2- السلمان عبد العزيز بن محمد "الكواشف الجلية في المعاني الواسطية "دار الطبع والترجمة، رآسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط11/ 1982م، ص220.

3- النساء 163

6 - ابن عاشور محمد الطاهر "التحرير والتنوير" طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ج6، ص 36.

5 - نفس المصدر، ص37.

6 - نفس المصدر، ص37.

7 - نفس المصدر، ص37.

8 - ابن عاشور محمد الطاهر "التحرير والتنوير" طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ج6، ص37.

وهنا يستنتج الشّيخ من خلال هذا الحديث أنّ هذا النّوع من التّكليم لا يمكن أن يكون بحرف أو صوت بل " هو علم يحصل له من جهة سمعه يتّصل بكلام الله وهو تعلّق من تعلّقات الكلام النّفسي... فذلك التعلّق حادث لا محالة كتعلّق الإرادة"[1].

أمّا كلام الله للرّسل الوارد إليهم عن طريق الملك، مثل القرآن أو التّوراة أو الإنجيل، فتلك ألفاظ وحروف وأصوات يعلّمها الله للملك بطريقة لا نعلم كنهها ويعلم من خلالها الملك أنّها من عند الله تعالى يؤدّي تلك الألفاظ المخصوصة الملقاة للملك على مدلولتها فيلقيها الملك على الرّسول كما هي، قال تعالى ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيم﴾ [2]

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمين* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عربي مُّبِينٍ﴾[3]

ثمّ يعود الشّيخ لتفسير معنى قوله تعالى" تكليما" مصدر للتّوكيد ...ولذلك أكّدت العرب بالمصدر أفعالا لم تستعمل إلّا مجازا ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[4]، فإنّه أراد أن يطهّرهم الطّهارة المعنويّة، أي الكمال النّفسي"[5] ويدلّ ذلك على أنّ سيّدنا موسى سمع كلاما من عند الله بحيث لا يحتمل أنّه جاءه به جبريل أو أوحي إليه في نفسه.

ثمّ يسكت الشيخ عن الخوض في كيفيّة هذا الكلام، فقال رحمه الله " أمّا كيفيّة صدور هذا الكلام عن جانب الله فغرض آخر هو مجال للنّظر بين الفرق"[6] ولا يقصد من "تكليما" رفع احتمال المجاز إلّا أنّه في كتابه تحقيقات وأنظار يجزم الشّيخ أنّ ما سمعه سيّدنا موسى عليه السلام صوت كلّمه بلا واسطة " ولكن نجزم أنّه صوت كلمة بلا واسطة ..."[7]، وهنا يردّ هذا الاحتمال بل يزيده إنصافا عند تعرّضه إلى تفسير آية ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾[8]، يقول:" وأمّا سماع كلام الله مباشرة فلم يقع إلّا لموسى عليه السلام" [9] ، كذلك يقول رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾[10]، وتكليم الله موسى هو ما أوحاه إليه بدون واسطة جبريل، بأن أسمعه كلاما أيقن أنّه صادر بتكوين الله، بأن خلق الله أصواتا من لغة موسى تضمّنت أصول الشّريعة "[11].

ألاحظ أنّ الشّيخ ابن عاشور يؤكّد في أكثر من مناسبة تفرّد موسى عليه السلام بأن كلّمه الله تعالى بلا واسطة، وهو كلام بلا حرف ولا صوت، وذلك بأن يخلق للعبد إدراكا من جهة السّمع يحصل به العلم بكلام الله ويسمّى ذلك بالكلام النّفسي وذلك يقع بلا صوت ولا حرف وهو علم يحصل للرّسول من جهة سمعه يتّصل بكلام الله تعالى.

ثم يردّ على المعتزلة الّذين يعتبرون تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام إنّما ذلك وقع مثلما يفسّر الأشاعرة نزول الوحي على الرسول فهم يقولون: " إن الله يخلق حروفا وأصواتا بلغة الرّسول فيسمعها ويعلم أنّ ذلك من عند الله بعلم يجده في نفسه يعلم به أنّ ذلك ورد إليه من قبيل الله، إلاّ أنّه ليس بواسطة الملك ... وإسناد الكلام إلى الله مجاز في الإسناد على قولهم (المعتزلة) لأنّ الله منزّه عن الحروف والأصوات، والكلام حقيقة حروف وأصوات، وهذه سفسطة في الدّليل لأنّه لا يقول أحد بأنّ الحروف والأصوات تتّصف بها الذّات العليّة، وهو عندنا (الأشاعرة) وعندهم غير الوحي الّذي يقع في قلب الرّسول، وغير التّبليغ الّذي يكون بواسطة جبريل وهو المشار إليه بقوله ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[12].

ثمّ يزيد في الردّ على المعتزلة في قوله﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ هي حجّة على أنّ المعتزلة الّذين قالوا إنّ الله لم يكلّم موسى مباشرة بل بواسطة خلق الكلام، لأنّه أكّده بالمصدر وهو مردود لأنّ التّأكيد بالمصدر لإزالة الشكّ عن الحديث لا عن المحدّث عنه.[13]

---

1 - ابن عاشور محمد الطاهر "التحرير والتنوير" طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ج6، ص 37.
2 - الشورى 48.
3 - الشعراء 193
4 - الأحزاب 33
6 - ابن عاشور محمد الطاهر "التحرير والتنوير" طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ج6،ص38 .
7- نفس المصدر، ص38.
8- ابن عاشور محمد الطاهر "تحقيقات وأنظار" دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط4/ 2012م، ص 33.
8 - البقرة 74
9 - ابن عاشور محمد الطاهر "التحرير والتنوير" طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ج1/ص568
10 -البقرة 251
11 -ابن عاشور محمد الطاهر "التحرير والتنوير" طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ج3/ص8
12 -الشورى 48
13 -ابن عاشور محمد الطاهر "التحرير والتنوير" طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ج6/ص38

إذا فصفة الكلام هي صفة أزليّة قائمة بذاته تعالى هو بها آمر وناه ومخبر عبّر عنها نظم ما أوحاه إلى رسله كالقرآن والتّوراة والإنجيل، وهي ليست بحرف ولا صوت وهي منزّهة عن التّقدّم والتّأخّر والإعراب والبناء متعلّق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات جميعا، لأنّ من المحال ألّا يكون علمه سبحانه متناولا لها على وجه الإحاطة كالعلم.

وقد خالف علماء الحديث الّذين قالوا أنّ الله تعالى يتكلّم بصوت يُسمع، وأنّ نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعيّن قديما، ولهم أدلّة كثيرة منها: أنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام خاطبه ربّه ليلة المعراج وفرض عليه وعلى أمّته الصّلوات الخمس بعد أن فرضها عليه خمسين صلاة ومازال يراجعه صلى الله عليه وسلم حتى جعلها خمسا في العدد وخمسين في الأجر، قال صلّى الله عليه وسلّم: فلمّا جاوزت، ناداني مناد:أمضيت فريضتي وخفّفت عن عبادي".[1]

يقول اللقاني ناظم الجوهرة.

البحر: الرجز

ونزّه القرآن أي كلامه *** عن الحدوث واحذر انتقامه

فكلّ نصّ للحدوث دلّا *** احمل على اللّفظ الّذي قد دلّا

يشرح الباجوري هذا النّظم فيقول: أي اعتقد أيّها المكلّف تنزيه القرآن – بمعنى كلامه تعالى – عن الحدوث خلافا للمعتزلة القائلين بحدوث الكلام زعما منهم أنّ من لوازمه الحروف والأصوات، وذلك مستحيل عليه تعالى فكلام الله عندهم مخلوق لأنّ الله خلقه في بعض الأجرام، ومذهب أهل السنّة أنّ القرآن بمعنى الكلام النّفسي ليس بمخلوق، وأمّا القرآن بمعنى اللّفظ الّذي نقرأه حادث إلّا في مقام التّعليم لأنّه ربّما أوهم أنّ القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق امتنعت الأئمّة عن القول بخلق القرآن.[2]

الخاتمة

يرجح الشّيخ ابن عاشور رأي المدرسة الأشعرية من علماء أهل السنة، عند تفسيره للآيات الّتي لها تعلّق بكلام الله تعالى، حيث يثبت أنّ الكلام صفة أزليّة وغير مخلوق ولا حادث، مع كونه ليس بحرف ولا بصوت.

ويرى أنّ الله سبحانه قد يكلّم عبده وذلك بأن يخلق له إدراكا من جهة السّمع يتحصّل به العلم بكلام الله تعالى دون حرف ولا صوت، وسمّى ذلك الكلام بالكلام النّفسي، كما أثبت أنّ الله تعالى قد كلّم سيّدنا موسى عليه السّلام بلا واسطة جبريل عليه السّلام، وأكّد بكلمة "تكليما" حتّى ينفي احتمال أن يكون جاء به جبريل عليه السّلام، وأيقن أنّه صادر من الله تعالى بلا صوت ولا حرف، بأن خلق له ادراكا من جهة سمعه حصل له به العلم أنّه كلام الله تعالى .

1 - البخاري في بدا الخلق 3207

2 - الباجوري ابراهيم ببن محمد "تحفة المريد على جوهرة التوحيد "مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر، ص، 93-95 .

المصادر والمراجع

1- الإيجي عبد الرحمان بن أحمد" المواقف في علم الكلام" دار عالم الكتب بيروت لبنان.
2- الباجوري ابراهيم بن محمد "تحفة المريد على جوهرة التوحيد" مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر .

3- الخن مصطفى سعيد وديب مستو محي الدين "العقيدة الإسلامية" دار الكلم الطيب، دمشق سوريا، ط2003/4
4- السلمان عبد العزيز بن محمد "الكواشف الجلية في المعاني الواسطية " دار الطبع والترجمة، ط11/ 1982م .

5- السلمي عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام "رسائل في التوحيد" دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1.
6- صليبا جميل "المعجم الفلسفي "دار الكتاب اللبناني/ بيروت ، لبنان،1982 .

7-الطحاوي أبو جعفر: العقيدة الطحاوية ص 179 طبعة المكتب الإسلامي سنة 1399 هـ
8- ابن عاشور محمد الطاهر "التحرير والتنوير" طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس .

9- ابن عاشور محمد الطاهر "تحقيقات وأنظار" دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس،ط4/ 2012م .

10- ابن عساكر علي بن الحسن "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري" مطبعة التوفيق، دمشق 1347 هـ.
11- الفيومي المقري أحمد بن محمد "المصباح المنير"مكتبة لبنان،1987.